

نظريات النمو الاقتصادي القديمة و الحديثة

ان نظرية النمو والتنمية قديمة قدم علم الاقتصاد نفسه. فكبار الاقتصاديين الكلاسيك وكل كتابات اقتصادي التنمية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كتبوا حول القوى التي تحدد تقدم الأمم خاصة عندما شرعت دول أوروبا في عملية التصنيع.

سنتناول في هذا الفصل كيفية تطور نظريات النمو والتنمية عبر الزمن من الاقتصاديين الكلاسيكيين إلى التفكير المعاصر حول العوامل التي تحدد وتيرة النمو الاقتصادي 'economic growth'

:Classical growth theory

:Adam Smith*1

- أشهر الاقتصاديين الكلاسيكيين الأوائل هو آدم سميث، الذي نشر كتابا رائدا عام 1776 بعنوان "An

"Inquiry into the Nature and Causes of the Wealth of Nations"

لا يزال هذا العمل يُستشهد به على نطاق واسع اليوم لأن سميث أدرك مدى التخصص في الأنشطة الصناعية والتي يمكن أن تؤدي إلى زيادة العائدات وزيادة كبيرة في إنتاجية العمل، مقارنة بالتخصص في الزراعة. وكان آدم سميث متفائلاً بعملية النمو والتنمية القائمة على زيادة العائدات في الصناعة.

وأحد أهم مساهمات سميث في الاقتصاد هو إدخال فكرة زيادة العائدات على أساس تقسيم العمل.

يقدم آدم سميث (1776) ثلاثة مصادر للعوائد المتزايدة التي يمكن استخلاصها من تقسيم العمل ويعتمد بدوره على المدخرات من الأرباح التي تولدها الصناعة والزراعة ودرجة التخصص في العمل (أو تقسيم العمل).

واكد على ان تقسيم العمل يحدد مستوى إنتاجية العمل، ولكن تقسيم العمل محدود بمدى "سعة السوق".

: Thomas Malthus*2

كان مالتوس الاقتصادي الكلاسيكي الوحيد الذي قام بالتأكيد على أهمية الطلب في تحديد الإنتاج، حيث التزم الآخرون بقانون ساي : و الذي ينص على ان العرض يخلق الطلب الخاص به

Say's law: that supply creates its own demand

يرى مالتوس أن الطلب الفعال يجب أن ينمو بالتوازي مع الإمكانيات الإنتاجية إذا أردنا الحفاظ على الربحية كحافز للاستثمار.

ركز مالتوس على مدخرات الملاك وأكد على ان اختلال التوازن بين المعروض من الادخار والاستثمار المخطط للرأسماليين يؤدي الى عرقلة التنمية، إذا تجاوزت مدخرات مالك الأرض المبلغ الذي يرغب الرأسماليون في اقتراضه "للاستثمار"، و اقترح مالتوس فرض الضرائب على الملاك كحل واحد لهذا.

يشتهر مالتوس بنظريته المعروفة ب "نظرية مالتس للسكان" في كتابه Essay on the principle of population ، وتتلخص في أن عدد السكان يتزايد بمتوالية هندسية Geometrical ratio كل ربع قرن، في حين يتزايد إنتاج الطعام وفق أحسن الظروف بمتوالية حسابية Arithmetical ratio خلال نفس الفترة مما يتسبب في عجز غذائي وانخفاض مستويات المعيشة، ومن ثم فإن وصول الاقتصاد إلى حالة الركود حتمي والسبب الرئيس في ذلك هو تناقص الغلة (Malthus, 1798) وكانت تلك بمثابة آراء تشاؤمية تتعلق بالنمو السكاني وأثره السلبي على النمو الاقتصادي.

"the human species would increase as the numbers 1, 2, 4, 8, 16, 32, 64, 128, 256,

and subsistence as 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9. [This would mean that] in two centuries the population

would be to the means of subsistence as 256 to 9; in three centuries as 4096 to 13

:David Ricardo*3

كتب ريكاردو ([1817]): "لا يوجد حد للطلب، ولا يوجد حد لاستخدام رأس المال طالما انه يحقق ربح. ومهما كانت وفرة رأس المال، فلا يوجد سبب آخر مناسب لانخفاض الربح سوى ارتفاع في الأجور". ومع انخفاض الأرباح إلى الصفر، سيتوقف تراكم رأس المال، مما يبشر بحالة الثبات (السكون) "stationary state" ، فالارتفاع الحقيقي في الأجور يتبعه بالضرورة انخفاض حقيقي في الأرباح.

أي انه تنبأ بأنه سينتهي الأمر بالاقتصادات إلى حالة من الثبات، مع انعدام النمو، وهو ما يرجع أيضاً إلى تناقص العائدات في الزراعة أي "تناقص الغلة Diminishing Returns" .

اعتبر ريكاردو أن النشاط الزراعي من أهم الأنشطة الاقتصادية؛ ذلك لأن عنصر الأرض من وجهه نظره هو

أساس أي نمو اقتصادي. وفي رأى ريكاردو توجد 3 جماعات اقتصادية رئيسة في نموذج التنمية هم الرأسماليون والعمال وملاك الأراضي.

وفي كتابه بعنوان Principles of Political Economy and Taxation (Ricardo, 1817) ، اتفق ريكاردو مع سميث في أن عملية التنمية هي عملية متجددة ذاتياً، فهي تعتمد على التراكم الرأسمالي، الذي يعتمد بدوره على تحقيق الأرباح. وبالتالي لكي تبدأ تلك العملية يجب أن يكون معدل الربح موجبا بما يحفز الرأسماليين على ادخار جزء من دخولهم، ويحاولوا توسيع الانتاج عن طريق زيادة عدد العمال والمعدات، وهذا ما يدفع الأجور الحقيقية للزيادة عن المستوي الطبيعي فينخفض معدلات الوفيات – نتيجة لتحسن الغذاء والصحة – وبالتالي يزداد حجم قوة العمل، بما يؤدي إلى زيادة التراكم الرأسمالي، وهكذا.

ومن ثم فإن الرأسماليين لهم دور رئيس وفعال في عملية التنمية، ولا داعي لتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي. إلا أنه أوضح أن حالة تناقص الغلة Diminishing Returns في القطاع الزراعي، ومع استمرار عملية التنمية، تزداد صعوبة امداد السكان المتزايدين بالطعام، بما يفضي في النهاية إلى إيقاف عملية التنمية والوصول إلى حالة الركود، وبالتالي فإن عملية التنمية الاقتصادية عبارة عن سباق بين التقدم الفني والنمو السكاني (Thirlwall, 2000)

كارل ماركس (1818 - 1883) (Karl Marx) :

اتفق ماركس مع معظم الكلاسيك بأن السبب الأساسي للأزمة – الذي يعيق عملية التنمية – هو انخفاض الأرباح، لكنه اختلف معهم وانتقدهم بشدة في توضيح أسباب هذا الانخفاض، فبينما أوضح الكلاسيك أن ذلك يعزى إلى انخفاض معدل التقدم التكنولوجي وندرة الموارد الطبيعية، فضلا عن سريان قانون تناقص الغلة في الزراعة، رأى ماركس أن المشكلة الحقيقية تكمن في النظام الرأسمالي نفسه، الذي يقوم على مجموعة من الأسباب والتناقضات – بين العمال والرأسماليين – تؤدي إلى حدوث تقلبات اقتصادية حتى تصل في النهاية إلى انهيار النظام.

وجوهر المشكلة في رأيه يتمثل في عدم القدرة على مواجهة التقدم التكنولوجي السريع، فالتقدم التكنولوجي يؤدي إلى طرد المزيد من العمال من العمل نتيجة لإدخال آلات جديدة، وبالتالي زيادة البطالة التكنولوجية

(الفكر النيوكلاسيكي) التقليدي القديم :

الاهتمام الأول هو عملية توزيع الموارد الاقتصادية من خلال ديناميكية الاقتصاد الحر، فقد اعتقدوا أن النمو الاقتصادي يمكن أن يتم بشكل تلقائي.

1- ليون فالراس (1834 - 1910) Leon Walras :

عرف فالراس النمو بأنه "نقص الندرة" الذي يعنى ارتفاع مستوى المعيشة، وقد اهتم في تحليله للنمو الاقتصادي بالتراكم الرأسمالي والنمو السكاني. واقترح تدخل الدولة لإصلاح نظام الملكية والاسعار، وفرض ضريبة على الزيادة في قيمة الإيجارات للأراضي – التي ترتفع في ظل النمو الاقتصادي – وكل ذلك للتأكيد على دور الدولة في تحقيق التوزيع العادل Distributive Justice لأفراد المجتمع، ولضمان تحقيق المنافسة الكاملة.

2- ألفريد مارشال (1842 - 1924) Alfred Marshall :

يُعد مارشال من أبرز الاقتصاديين النيوكلاسيك. وفي كتابه المعروف Principles of Economics (Marshall, 1920)، ناقش مسألة النمو الاقتصادي وكانت له نظرة تفاؤلية، فعملية التنمية في رأيه مستمرة ومتجددة بسبب التقدم التكنولوجي الذي يكون كفيلا بالقضاء على أية ضغوط ركوديه قد تفرضها ندرة الموارد الطبيعية ، وقد يترتب على ذلك بطالة مؤقتة لبعض العمال. كما قدم مارشال فكرة الوفورات الخارجية External Economies ، فكل نمو في صناعة مهما كانت صغيرة تؤدي إلى سلسلة من ردود الأفعال، التي تؤثر بدورها على العديد من الصناعات الأخرى، حيث يؤدي النمو الاقتصادي في قطاع معين إلى دفع القطاعات الأخرى للنمو، وبالتالي فإن النمو في رأيه هو عملية مترابطة ومتكاملة ومتوافقة ذات تأثير إيجابي متبادل.

ملاحظة:

وباللقاء نظرة عامة، يلاحظ أن معظم الاقتصاديين النيوكلاسيك اتفقوا مع الكلاسيك في التأكيد على أهمية التراكم الرأسمالي والتركيز على تقسيم العمل وحرية التجارة في عملية النمو.

3 - تحليل شومبيتر (1883 - 1950) Schumpeter):

لم يقتنع شومبيتر بتفسيرات النظرية النيوكلاسيك عن النمو، حيث رأى ان عملية النمو تتم بطريقة مفاجئة، ناتجة عن تدفقات غير منتظمة. وفي ظل ظروف عدم التأكد والمخاطرة، يحتاج الاقتصاد الى المنظم Entrepreneur ، لأنه أكثر قدرة على تحمل مخاطر الانتاج التي لا يمكن التأمين ضدها، كما إنه يقوم بإدخال الابتكارات (Innovations) في الاقتصاد. وبالتالي المنظم في رأيه له دور قيادي في عملية التنمية في ظل النظام الرأسمالي

ملاحظة: إن نموذج شومبيتر لا يتناسب مع ظروف الدول النامية بسبب اختلاف النظام الاقتصادي والاجتماعي ووجود عديد من العقبات فيها، كالزيادة السكانية، والنقص في عنصر المنظمين.